إشكاليات النص القرآني عند الفراء في تفسيره (معاني القرآن)

Problematics of the Quranic Text in Al-Farra's Interpretation (Ma'ani al-Qur'an)

م. زينب عبدالجبار خضير

zainab.ajabbar@shu.edu.iq

جامعة الشطرة – كلية التربية للبنات

ملخص :

يُعدّ القرآن الكريم المصدر الأساسي للتشريع الإسلامي، فمنه يستقي المسلمون معتقداتهم وقيمهم الأخلاقية. ونظراً لعظم مكانته، انبرى العلماء لبحث دقائقه وكشف معانيه، وكان من أبرزهم أبو زكريا الفراء (٢٠٧هـ)، الذي أثرى علم مشكل القرآن **عبر مؤلَّفه** "معاني القرآن ."**يتناول هذا العلم الآيات التي قد تبدو مُلتبسة، فيضيء معانيها ويرفع الغموض عنها. وانطلاقاً من أهمية هذا المبحث، يتناول البحث إشكاليات النص القرآني عند الفراء، بوصفها محوراً علمياً جوهرياً في فهم دلالات الخطاب القرآني.**

كلمات مفتاحية : اشكاليات النص ، الفراء .

abstract:

The Holy Quran is considered the primary source of Islamic legislation, from which Muslims derive their beliefs and moral values. Due to its profound significance, scholars have dedicated themselves to examining its intricacies and elucidating its meanings. Among the most prominent of these scholars is Abu Zakariya Al-Farra (d. 207 AH), who enriched the field of Problematic Quranic Passages **through his work *Ma'ani al-Qur'an*. This discipline addresses verses that may appear ambiguous, clarifying their meanings and dispelling any confusion. Given the importance of this subject, the study explores the** problematic aspects of the Quranic text **in Al-Farra's interpretation, considering it a fundamental scholarly approach to understanding the Quranic discourse**

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين المبعوث رحمة للعالمين ابا القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الأخيار المنتجبين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد... لا شك ان القرآن الكريم كان ولا زال المصدر الأول لتشريع أحكام الدين، فمنه يستمد المسلمون أصول أعتقادهم ويستلهمون منه ما فيه صلاح أمر دينهم ودنياهم، وينهلون من فيضه المبادئ والقيم الأخلاقية العالية والأفكار والمعايير التي تقيهم من الزلل والاخطاء، ولأهمية هذا الدستور الالهي العظيم انبرى كوكبة من العلماء المختصين من مختلف مذاهب المسلمين لدراسته، مبينين بذلك معاني الفاظه وأحكامه وعلومه المختلفة ومنها علم مشكل القرآن الكريم فقد اهتموا بهذا العلم والذي ستنطرق اليه في بحثنا والمراد به الآيات القرآنية التي اشتبه لفظها على البعض فهو إزالة أي إشكال قد يتوهمه البعض فالوقوع في الإشكال أمر نسبي، ومن هؤلاء العلماء الذين تناولوا هذا العلم العالِم اللغوي الجليل أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء الكوفي (207هـ) فقد وضع أهم وأفضل كتاب في معاني القرآن الكريم في كتابه الشهير(معاني القرآن)، الذي كان رافدا من روافد العطاء والإبداع، إذ خدم هذا التفسير الكثير من الدارسين والباحثين في مبتغاهم العلمي. ولهذا تناولت جانب من جوانب فيضه الا وهو موضوع (المشكل القرآني) الذي يعد مبحثاً مهم من مباحث علوم القرآن الكريم، وانطلاقاً من ذلك الأمر جاء بحثي بعنوان: (إشكاليات النص القرآني عند الفراء في تفسيره (معاني القرآن)).

أهداف الدراسة:

إن لأهداف هذه الدراسة أموراً كثيرة أبرزها: معرفة المشكل القرآني للآيات، ودراسة الآيات القرآنية التي اشكلت عند البعض، وطرق دفع الإشكال في كتاب معاني القرآن، وبيان المنهج والطرق والأساليب عند الفراء ودراسة نماذج من المشكل القرآني في تفسيره.

الدراسات السابقة :

وجدت دراسات سابقة قد أهتمت بجوانب أخرى من هذا التفسير ومنها: (إشكالية المصطلح النحوي عند الفراء)، و(الحذف واغراضه عند الفراء، ظاهرة الحمل على المعنى عند الفراء)، و(المباحث الدلالية بين معاني القرآن للفراء (تـ207هـ) والحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (تـ377هـ)/ دراسة موازنة)، و(آراء الفراء النحوية في مسائل خلافية من خلال كتابه معاني القرآن)، و(الفراء ومنهجه في كتابه معاني القرآن (تـ207هـ))، و(قياس الفراء في كتابه معاني القرآن)، و(المنصوبات في كتاب معاني القرآن عند الفراء جمعاً ودراسة).

منهج الدراسة

ان منهج الدراسة المتبع في هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي في الترجمة للفراء ومنهجه في كتابه معاني القرآن، والمنهج التحليلي التطبيقي في دراسة نماذج من الإشكالات وجهود الفراء في بيان معاني الكتاب.

خطة البحث

تكونت خطة الدراسة من مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع ويمكن توضيح تقسيم المباحث على النحو الآتي:

التمهيد : (تعريف مصطلح المشكل القرآني)، وفيه :

تعريف المشكل القرآني من حيث اللغة والاصطلاح.، أنواع المشكل القرآني.

والحكمة من وجود المشكل في الآيات القرآنية.

المبحث الاول: عنوانه (ترجمة موجزة للفراء وبيان منهجه في كتا القرآن)، وفيه :

المطلب الأول: الفراء ، النشأة.. الجهد الفكري.. البعد الاجتماعي.

المطلب الثاني: الوصف العام لتفسير (معاني القرآن) للفراء .

المطلب الثالث: منهج الفراء .

المبحث الثاني : دراسة نماذج من مشكل القران في كتاب معاني القرآن للفراء . وفيه دراسة تطبيقية لنماذج من المشكل عند الفراء في كتابه وتوجيهها. وبعد عرض العمل في هذه المباحث وضعت خاتمة تمثلت بتلخيص أبرز النتائج التي توصلنا إليها من خلال الدراسة، واخيراً قائمة للمصادر والمراجع التي اعتمدناها في عملية البحث.

وهذا ما هو الا جهد متواضع، اضعه بين أيديكم فما كان فيه من صواب فهو من فضل الله ومنّه، وما كان فيه من هفوات فمن نفسي، سائلاً المولى القدير أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وان يجعل لنا ولكم السداد والموفقية والله ولي التوفيق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد

(التعريف بمصطلح المشكل القرآني)

(تعريف المشكل من حيث اللغة والاصطلاح)

اولاً: تعريف المشكل لغةً واصطلاحاً:

في اللغة مأخوذ من (شَكُل) قال ابن فارس: " الشِّينُ وَالْكَافُ وَاللَّامُ مُعْظَمُ بَابِهِ الْمُمَاثَلَةُ. تَقُولُ: هَذَا شَكْلُ هَذَا، أَيْ مِثْلُهُ. وَمِنْ ذَلِكَ يُقَالُ أَمْرٌ مُشْكِلٌ، كَمَا يُقَالُ أَمْرٌ مُشْتَبِهٌ، أَيْ هَذَا شَابَهَ هَذَا، وَهَذَا دَخَلَ فِي هَذَا، ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَى ذَلِكَ، فَيُقَالُ: شَكَلْتُ الدَّابَّةَ بِشِكَالِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَ إِحْدَى قَوَائِمِهِ لَهَا. وَكَذَلِكَ دَابَّةٌ بِهَا، إِذَا كَانَ إِحْدَى يَدَيْهِ وَإِحْدَى رِجْلَيْهِ مُحَجَّلًا. وَهُوَ ذَاكَ الْقِيَاسُ ؛ لِأَنَّ الْبَيَاضَ أَخَذَ وَاحِدَةً وَشَكْلَهَا"[1].

تقول: أشكل عليَّ الأمر، أي: اختلط بغيره [2]والشَّكْلُ: الشَّبَهُ والمِثْلُ، والجمع أشْكَالٌ، وشُكُولٌ، يُقال: هذا أشْكَلُ بكذا، أي:أشْبَ[3] فالمعنى اللغوي للمُشْكِل يدور حول: الاختلاط، والالتباس، والاشتباه، والمماثلة.

ما اصطلاحاً: قال الدكتور عبد الله المنصور في تعريفه : بأنه: "الآيات القرآنية الذي التبس معناها واشتبه على كثير من المفسرين، فلم يعرف المراد منها إلا بالطلب والتأمل"4

ثانياً: أنواع المشكل:

ما يظن به تعارض واختلاف.

المشكل في اللغة، ويندرج فيه مشكل الإعراب، وما يتعلق بغريب اللغة، وما يتعلق بالمجاز، والكناية، و التقديم والتأخير، وخفاء وجه الحكمة في استخدام بعض الأساليب اللغوية.

لمشكل للاشتباه في المعنى أو في اللفظ.

المشكل في القراءات ورسم المصحف[5].

ثانياً: الحكمة من وجود المشكل في الايات القرآنية:

لم يخلُ كلام الله ﷻ وهو أحكمُ الحاكمين، لكون كلامُه أحسن الكلامِ وأصدقُه، مِن بعضِ مُتشابهٍ يختلِفُ النَّاس في استيعابه، فتنةً تَصْغى إليها أفئدة الَّذين في قلوبهم زيغ ومَرض، وفُسحةً مِن الاجتهادِ والتَّحرّي يتمتع بأجرها عبادُه المُخلَصون؛ إذ تتفاوَت درجاتُهم في شرفِ العِلم والمعرفة، كما يختلف النَّاس حِيالها بين مُصيبٍ ومخطئٍ، ومُجتهدٍ ومُقلّدٍ، ومُتأنٍّ ومُتهوّرٍ، ومَأجورٍ ومَوْزورٍ، فإنَّ هذه المساحةَ الواسعةَ مِن تحرّي معاني الوحي لم تعد تُوضَع لِمن سَفُلت هِمَّتُهم، من الَّذين يَبتغون كلَّ شيءٍ مُحكَمًا في مَنطوقِه[6]

يقول ابن القصَّار المالكيُّ (ت 398 هـ):«اِعلم أنَّ للعلومِ طُرقًا، منها جَليٌّ وخَفيٌّ، وذلك أن الله –تَبارك وتعالى– لمَّا أرادَ أن يمتحِنَ عبادَه وأنْ يبتليَهم، فرَّق بين طُرقِ العِلم، وجعل منها ظاهِرًا جَليًّا، وباطنًا خفيًّا،

ليرفع الَّذين أوتوا العلم، كما قال عز وجل: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} [المجادلة: 11][7]

ولما كان النَّاسَ مُتفاوتون في علومِهم وإدراكاتهم وغاياتِهم، فهم أيضاً مُتباينون في امتِثالِهم لنصوصِ الوَحْيَين، فكان مِنهم الرَّاسخون في العِلم، الذَّابُّون عن حياض الشَّريعة، ومِنهم أهلُ زَيغٍ صبغوا دينَهم بلونِ أهوائِهم؛ فإنَّه عن طريق التَّبصُّرِ بهذا الافتراقِ، نُلاحظ الحكمةَ الكبرى مِن وجودِ هذه المُشكلاتِ في النُّصوصِ الشَّرعيةِ إذ إنَّها: تَمحيصُ ما في القلوبِ مِن اليقينِ إضافة إلى التَّسليمِ لله ورسولِه، وابتلاءُ العقولِ لتستفرِغَ الوُسعَ في التَّوَصُّل إلى مُراداتِ الله تعالى[8]

ومن الحكم الأخرى لوجود المشكل هي العناية بمجموعة من العلوم الهامة التي لا بد منها لتفسير المشكل، وخصوصا علم أصول الفقه واللغة، والبلاغة والبيان والمعاني، وبعض علوم الآلة كالنحو والصرف وغيرها ، وفيه تحقيق لإعجاز القرآن الكريم، لأن كل استشكال يرد على كتاب الله يسفر عن روعة بلاغته واتساق نظمه، وإحكام ترابطه، ودقة معانيه. وبيان تحقيق موعود الله له في تكفله بحفظ كتابه، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [سورة الحجر : ٩]،. والحث على التمكن في العلم والازدياد منه، لأنه لا يحصل حل المشكل إلا بعلم راسخ وإيمان قوي.

كما انه ينفي تأويلات الجاهلين وانتحالات المبطلين وبذل الجهد في إظهار كيدهم للإسلام ودفعه.

واتساع مدارك العلماء وطلاب العلم الذين يتصدرون لحل هذه المشكلات، فإن الإقبال على هذه المهمة المتمثلة في بيان مراد الله تعالى من المشكل، وما يُصاحبه من بذل وسع وجهد؛ لا بد أن يثمر اتساعا في المدارك ونماء في التفكير، وقوة في البصائر، وذلك فضل من الله يؤتيه من يشا[9].

المطلب ألاول

(الفراء ، النشأة.. الجهد الفكري.. البعد الاجتماعي.)

أولاً: ترجمة موجزة للامام الفراء (تـ207هـ):

هو الامام يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، يكنى بأبي زكريا و يلقب بالفراء لأنه كان يفري الكلام[10] أي : يحسن تقطيعه و تفصيله وقيل: "لقطعة الخصوم بالمسائل التي يعنت بها من قولهم: قد فرى إذا قطع"[11].

ولد سنة مئة و أربع وأربعين للهجرة في الكوفة في موالي بني منقر من تميم. ونشأ في الكوفة فاخذ عن الكسائي، و أبي جعفر الرؤاسي و قيس بن الربيع و سفيان بن عيينة و مندل بن علي، ثم ارتحل إلى بغداد التي كانت حاضرة العلماء فاتصل بالرشيد ثم بالمأمون، وكان الكسائي قد سبقه إليها.

وكان كثير التنقل بين بغداد والبصرة والكوفة وعند النظر في البيئة العلمية التي نهل منها الفراء علمه تدل على انه لم يكن كوفيا محضاً، بل نقل أن أهل الكوفة ادعوا انه استكثر من علماء البصرة. و في بغداد اشتهر الفراء بسعة علمه و حذقه و كثرة حفظه الذي أغناه عن التدوين، و لم يوجد معه حين مات – رحمه الله – إلا شيء قليل مدون[12].

فقال في وصفه ثمامة بن الأشرس عند المأمون: "فرأيت أبهة أدب فجلست إليه ففاتشته عن اللغة فوجدته بحرا، وفاتشته عن النحو فشاهدت نسيج وحده، وعن الفقه فوجدت رجلا فقيهاً عارفاً باختلاف القوم و بالنجوم ماهراً، و بالطب خبيرا و بأيام العرب و أشعارها حاذقاً"[13] و يقول ثعلب : "لولا الفراء ما كانت عربية، لأنه حصنها و ضبطها،و لولا الفراء لسقطت العربية لأنها كانت تتنازع و يدعيها كل من أراد، و يتكلم الناس على مقادير عقولهم و قرائحهم فتذهب"[14]، وقد حظي الفراء برعاية المأمون و صار معلماً لديه و ألف الفراء آخر كتبه (الحدود) في ظل المأمون. توفي في طريق مكة سنة سبع و مئتين للهجرة عن عمر يناهز ثلاثاً وستين عاماً[15].

وله مؤلفات كثيرة ومنها: آلة الكاتب، اختلاف أهل الكوفة والبصرة و الشام في المصاحف، الأيام والليالي و الشهور البهي التحويل التصريف، الجمع و اللغات، الجمع و التثنية في القرآن الحدود، حروف المعجم الفاخر في الأمثال كتاب فعل و أفعل الكتاب الكبير في النحو، كتاب لغات القرآن كتاب ما تلحن فيه العامة، إعجاز القرآن مختصر في النحو، كتاب المذكر والمؤنث، مشكل اللغة الصغير، مشكل اللغة الكبير، المصادر في القرآن، معاني القرآن المقصور والممدود ملازم كتاب النوادر، كتاب الهاء كتاب الواو، كتاب الوقف والابتداء، كتاب يافع و يافعة .

المطلب الثاني

الوصف العام لتفسير (معاني القرآن) للفراء وسبب تأليفه.

قال أبو الْعَبَّاس ثَعلب "كان السبب في إملاء كتاب الفرَّاء في المعاني أن عمر بن بكير كان من أصحابه، وكان منقطعاً إلى الحسن بن سهل فكتب إلى الفرَّاء: إن الأمير الحسن بن سهل، ربما سألني عن الشيء بعد الشيء من القرآن فلا يحضرني فيه جواب، فإن رأيت أن تجمع لي أصولاً، أو تجعل في ذلك كتاباً أرجع إليه فعلت، فقال الفرَّاء لأصحابه: اجتمعوا حتى أُملي عليكم كتاباً في القرآن، وجعل لهم يوماً، فلما حضروا خرج إليهم، وكان في المسجد رجل يُؤذِّن ويقرأ بالناس في الصلاة، فالتفت إليه الفرَّاء فقال له: اقرأ بفاتحة الكتاب نفسِّرها، ثم نوفى الكتاب كله، فقرأ الرجل ويفسِّر الفراء، قال أبو العباس: لم يعمل أحد قبل مثله، ولا أحسب أن أحداً يزيد عليه".[16]

وقيل: أملاه في مجالس عامة كان في جملة من يحضرها نحو ثمانين قاضيا، وأمل (الحمد) في مائة ورقة، وقال سلمة: أمل الفراء كتبه كلها حفظا.[17]

وكان محمد بن الجهم السّمري (ت277هـ) راوية الكتاب، وهناك نسخة أخرى لم تشتهر. وسمي معاني القرآن، لأن هذا التركيب يُعنى به ما يشكل في القرآن، ويحتاج إلى بعض العناء في فهمه. وهذا الكتاب هو أشهر كتاب وصل إلينا للكوفيين، ووضع فيه الفراء جلّ آرائه النحوية، و تمثل معظم آراء المدرسة الكوفية، كما شرح فيه كثيرا من المصطلحات النحوية والصرفية التي تخص الكوفيين.[18] ومعاني القرآن في الأصل كتاب في التفسير، إلاَّ أن الفراء اتجه فيه بقوة اتجاهًا لغويًا، وإذا نظرت إلى هذا الكتاب الثَّري وجدت الفراء اهتم فيه بتفسير القرآن بالقرآن اهتمامًا واضحًا، وأذكر لهذا مثالا واحدًا أكتفي به: فعند قوله سبحانه: [وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي[المائدة: 111.]]، قال الفراء: (يقول: ألهمتهم كما قَالَ: [وَأَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً][النحل: 68] أي ألهمها [19].[معاني القرآن،1/325]

المطلب الثالث

المنهج العام للفراء في(معاني القرآن)

اعتاد الفراء ألا يفسر الآيات جميعها، بل كان يصطفي كلمات أو جملاً محددة من بعض الآيات التي بحسب ما يعتقد أنها بحاجة إلى شرح أو إعراب أو إضافة من التوضيح، وسأذكر هنا وصفاً مختصراً عن منهجه في التفسير.

يوضح الإشكال الذي قد يُتَوَهَّم بشأنه في الآية ثم يجيب عنه: ففي قوله تعالى ((الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ، وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ)) (القصص52-53) قال: ((وقوله: (إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ) يُقال: كيف أسلموا قبل القرآن، وقبل محمد صلى الله عليه وسلم؟! وذلك أنهم كانوا يجدون صفة النبي صلى الله عليه وسلم في كتابهم فصدقوا به، فذلك إسلامهم)) ويجمع المواضع المتشابهة ويبين الفرق بينها في المعنى، وقد يحكي قولاً غريباً في تفسير الآية.

لا يسهب غالباً في توضيح المفردات التي لا يرى لها من علاقة بالنحو أو الإعراب، بل يوجز بهذا الشأن، ويكتفي بشرح ما يعتقدهُ بحاجة للتوضيح والإظهار، أو يُشكل لا غير ذلك، فتفسيره بوساطة هذه الرؤية لا تختلف عن تفسير السلف أو مشابه له. (أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ) يقولون: يرغبون عن أعمال قوم لوط ويتنزهون عنها.

أحياناً يلجأ إلى تفسر الغامض أو المبهم أو الملتبس ومن النوع الذي لا يرجى أو يتوخى منه أية فائدة تذكر! طريقته بالتفسير تعتمد بالدرجة الأساس على اللغة والنحو، ويرتبط ذلك أساساً بالقواعد ، إلى جانب أمثلة توضيحية، فضلاً عن تنوعات احتمالية تحظى بالمقبولية لغةً وإعراباً، يسهب ويتوسع في ذلك، فهذه مساحة اشتغاله الأثيرة التي برز فيها. مثال ذلك: في قوله تعالى ((إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها))(البقرة26) فشرحَ المعاني المحتملة الوقوع، عن طريق الأمثلة المتداولة أو الشائعة لدى العرب ، ثم يتجه نحو إظهارها مع شرح ما يتعلق بذلك من قواعد في النحو، مع الاسهاب والاطناب فيما سبق كله، إذ شرح هذا الجزء من الآية بما يقارب أربع صفحات. حين يشير إلى ما توصل إليه المفسرون فإنه يرجح بالدليل ما يعتقده صائباً، وفي أحيان أخرى قد يذكر أقوال المفسرين من دون أن يعتمد الترجيح، كما ينقل عن المفسرين آراءً لهم هو غير مقتنع بها ولا يرتضيها، بل إنه قد يفضل عليها بالتفسير وجهة نظر أخرى تدل عليها الآية بحسب ما يراه، وقد يلجأ إلى تبيان وكشف ما جاء من تضادٍ بين رأي معين وبين قول كان قد جاء به المفسرون، والرغم من أن تفسيره في الغالب يعتمد على الرأي إلا أنه كان يلجأ أيضاً للتفسير بالمأثور.

كما ينبه في بعض الأحيان على النسخ الذي قيل بشأنه في الآية، فضلاً عن ذلك فإنه شحيح في تفسيره بالإشارة إلى الأحكام الفقهية، إلا أنه مرات يركن إلى ذكر الخلاف الفقهي تارةً.

كان غالباً ما يذكر الإسرائيليات في تفسيره، ويشير إلى القصة المتعلقة بما كان يمارسه العرب من فعل في الجاهلية والذي يوضح معنى الآية.

يلجأ كثيراً لتوضيح المعاني المتعددة لكلمة معينة مع توظيف الأمثلة والشواهد الشعرية والنثرية، وإذا كان المعنى الذي تتضمنه الآية لا يشير إلا نحو لغة محددة في حالة خاصة فإنه ينبه نحو ذلك،

وإذا كانت في الآية كلمة قد وردت بلغة بلد معين، فإنه يذكر ذلك، كما يشير إلى عددٍ من النظائر في المعنى لكلمة معينة، ويجتهد ليوفر الكثير من القناعات عن طريق الاستشهاد بما سمعه عن العرب في تفسير كلمة معينة، وقد يعتمد بالتفسير أحياناً على ما سمعه من شيخه الكسائي عن العرب.كما ينبه باتجاه الجانب البلاغي في الآية، وأحياناً على حمولة النسخ التي جاءت في الآية [20].

المبحث الثالث

نماذج من المتشابه والمشكل القرآني عند الفراء

1- قوله تعالى: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ) (سورة المائدة: الآية: 27).

هنا عدّ الفراء الإشكال متعلقاً بالمعنى إذ قال بعد بيان معناها " ولم يقل :قَالَ الَّذِي لَمْ يتقبل منه) لأقتلنّك (لأن المعنى يدلّ عَلَى أن الَّذِي لَمْ يتقبّل منه هُوَ القائِل لحسده لأخيه: لأقتلنك .ومثله فِي الكلام أن تَقُولُ :إِذَا اجتمعَ السفيه والحليم حُمِد، تنوي بالحمد الحليم، وَإِذَا رأيت الظالِم والمظلوم أعَنْتَ، وأنت تنوي :أعنت المظلوم، للمعنى الَّذِي لا يُشْكِلُ"[21]

2- قوله تعالى ((فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا)) (سورة الشمس:14)

في هذه الآية حل الفراء الإشكال الموجود عندما أورد تساؤلاً على السياق كسبب تقديم ما يكون مؤخراً وأجاب بجواز التقديم والتأخير فقال: " يَقُولُ القائل :كيف كذبوه فعقروها؟ ونرى أن الكلام أن يُقال :فعقروها فكذبوه، فيكون التكذيب بعد العقر. وقد يكون عَلَى ما ظنّ، لأنك تَقُولُ :قتلوا رسولهم فكذبوه،

أي :كفى بالقتل تكذيبًا، فهذا وجه، ويكون فكذبوه كلمة مكتفى بها، ويكون قوله):فعقروها (جوابا لقوله) :إذ انبعث أشقاها (، فعقروها. وكذلك جاء التفسير. ويكون مقدمًا وَمؤخرًا لأن العقر وقع بالتكذيب، وإذا وقع الفعلان معا جاز تقديم أيهما شئت .من ذَلِكَ:أعطيتَ فأحْسنت، وإن قلت :أحسنت فأعطيت كَانَ بذلك المعنى لأن الإعطاء هُوَ الإحسان، والإحسان هُوَ الإعطاء، كذلك العقر :هُوَ التكذيب. فقدمتَ ما شئتَ وأخرت الآخر"[22].

واستعمل هذا الأسلوب في مواضع اخرى ونكتفي بتطبيق اخر وهو :

3- ﴿اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ (النمل: 28)

اذ طرح تساؤلاً اذ قال: " كيف أمره أن يتولّى عنهم وقد قال :(فَانْظُرْ ماذا يَرْجِعُونَ)؟

وأجاب قائلاً: أنَ ذَلِكَ فِي العربية بيّن أَنَّهُ استحثّه فَقَالَ: اذهب بكتابي هذا وعجّل ثم أخّر (فَانْظُرْ ماذا يَرْجِعُون) ومعناها التقديم؛ أي أن ما متعلق بهذه الجملة يعدّ مقدمة بالمعنى، ما يدل على أن ينظر الهدهد ما الذي يكون منهم بعد إلقائه الكتاب إليهم، ثم يعود ليخبر ني الله بما رأى.

ويقال :إنه أمر الهدهد أن يُلقي الكتاب ثُمَّ يتوارى عنها ففعل: ألقى الكتاب وطار إلى كوة فِي مجلسها. والله أعلم بصواب ذَلِكَ[23].

فالتقديم والتأخير حينما كان فارقاً بين المعاني ومؤثراً فيها، أي أن اختلاف المعنى الذييجب أن يكون عليه الكلام في أثناء التقديم أو التأخير، يعمد المفسرون معاملته معاملة المعاني، ويرومون إلى تحويله معنى مستقلاً بذاته، يتبين به المعنى للآية، وتتحدد به مسارات القراءات، فضلاً عن تأثيره في دلالات الإعراب، وحلّ ما قد يشكل، ويحسب بوصفه أحد المعاني التي تحتملها الآية.

4- ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ* أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ (البلد: 13-14).

عد الفراء هنا التشابه من معاني المشكل فقال : "ثم إن كان أشكل للإطعام، والفك، فاخترنا :فَكَّ رقبةً"[24]

وله رأي مشابه في موضع آخر وهو:

5-﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ (الشمس: 11) .

قال هنا : "أراد بطغيانها إلّا أن الطغوى أشكلُ برءوس الآيات فاختير لذلك".

وأشكل في الآيتيين بمعنى أشبه.

يرى الفراء القراءات القرآنية من المشكل القرآني، ونلاحظ ثمة قراءات عديدة في كتبه لنماذج مكررة سأذكر بعضاً منها:

6﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ (الشمس: 1).

ذكر الفراء أن ضُحَاهَا تقرأ ممالة، وكذلك الآيات كلها التي تشاكلها على الرغم من أن طائفة من الأفعال المعتلة التي تشكل رؤوس الآيات فيها أصل الألف أو فإنها تقرأ ممالة أيضًا مع مراعاة لما تقدمها؛ إذ إن السورة ابتدأت برؤوس آيات نجد أن أصلها ياء "وَالضُّحى هُوَ النهار كُلِّه بكسرِ . الضحى: من ضحاها، وكل الآيات التي تشاكلها، وإن كَانَ أصل بعضها بالواو. من ذلك :تلاها، وصحاها، ودحاها لما ابتدئت السُّورة بحروف الياء والكسر اتّبَعها ما هو من الواو، ولو كان الابتداء الواو لجاز فتح ذَلِكَ كُلِّه. وكان حمزة يفتح ما كان من الواو، ويكسر ما كَانَ من الياء، وذلك من قلة البصر بمجاري كلام العرب، فإذا انفرد جنس الواو فتحته، وإذا انفرد جنس الياء، فأنت فِيهِ بالخيار إن فتحت وإن كسرت فصواب"[25].

7-﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ (الفجر4).

قال الفراء في تفسيرها :"ذكروا أنها ليلة المزدلفة، وَقَدْ قَرَأَ القراءُ : يَسرى بإثبات الياء، و يَسْرِ بحذفها ، وحذفها أحب إليَّ لمشاكلتها رءوس الآيات، ولأن العرب قَدْ تحذف الياء، وتكتفي بكسر ما قبلها منها"[26] فالفراء يرجح القراءة بوساطة حذف الياء بوصفها منسجمة مع الرسم القرآني لرؤوس الآيات، كذلك لتوافقها مع ميل بعض العرب لحذف ياء المضارعة؛ لأنه يعدّها صوت مد طويل، جنحت طائفة من اللهجات باتجاه تقصيره.

8- ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (العنكبوت: 22).

- ❖ كما استشكل الفرّاء عليهم بوصفهم لا يعجزون في الأرض ولا في السماء، فضلاً عن أنهم ليسوا من أهل السماء؟ ثم يتلاشى الإشكال عنده عن طريق تقدير المحذوف في الكلام، إذ قال: "وقوله: وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّماءِ [٢٢] يقول: القائل: وكيف وصفهم أنهم لا يعجزون فِي الأرض ولا فِي السماء، وليسوا من أهل السماء؟ فالمعنى- والله أعلم- ما أنتم بمعجزين فِي الأرض ولا من فِي السماء بمعجزٍ. وهو من غامض العربية للضمير الَّذِي لَمْ يظهر فِي الثاني. "[27]

❖ 9- ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (البقرة: 234).

هنا سنبين ملك من المسالك التي سلكها الفراء وهي ازالة الإشكال بالأعراب .

الفراء أشكل الاكتفاء بالخبر عن طريق الزوجات، كما يختفي وجود أي خبر عن المتوفين عنده، وهم الأزواج "يقال: كيف صار الخبر عن النساء ولا خبر للأزواج، وكان ينبغي أن يكون الخبر عن الَّذِينَ؟ فذلك جائز إذا ذكرت أسماء ثُمَّ ذكرت أسماء مضافة إليها فيها معنى الخبر أن تترك الأول ويكون الخبر عن المضاف إليه. فهذا من ذلك لأن المعنى- والله أعلم- إنما أريد به: ومن مات عَنْهَا زوجها تربصت. فترك الأول بلا خبر، وقصد الثاني لأن فِيهِ الخبر والمعنى" .28

قَالَ : وأنشدني بعضهم:

بني أسد إن ابن قيس وقتله ... بغير دم دار المذلة حلت 29

فألقى (ابن قيس) وأخبر عن قتله أنه ذل. ومثله:

لعلى إن مالت بي الريح ميلة ... على ابن أبى ذبّان أن يتندّما 30.

"فقال: لعلى ثُمَّ قال: أن يتندما لأن المعنى: لعل ابن أَبِي ذبان أن يتندم إن مالت بي الريح. ومثله قوله: وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْواجاً وَصِيَّةً لِأَزْواجِهِمْ « إلا أن الهاء من قوله وَصِيَّةً لِأَزْواجِهِمْ رجعت على (الذين) فكان الإعراب فيها أبين لأن العائد من الذكر قد يكون خبرا كقولك: عَبْد الله ضربته" .

وتأتي إجابة الفراء عن الإشكال بأنه جائز في القياس، ثم يظهر المعنى في الآية الأزواج لا حاجة لوجوده؛ غذ إن ذكر الخبر المراد عن الزوجات هو المقصود بالمعنى في الآية، ثم استدل على جواز ذلك بشعر العرب، وما يماثله الذي يجعل خبر من القرآن.

10- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (الحج: 18).

كما استشكل الفراء رفع (وَكَثِيرٌ) الثانية، ولو أنه لم يقع منهم سجود، وذلك بدلالة وقوع العذاب عليهم، ثم تأتي الإجابة بما يبينه من المعنى، وأوضح أن ارتفاع (وَكَثِيرٌ) الثانية بما عاد عليها من معنى الإباء في قوله تعالى: (حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ)، فقال: "فالجواب فِي ذَلِكَ أَنَّ قوله (حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذابُ) يدلّ عَلَى أَنَّهُ: وكثير أَبَى السّجود، لأنه لا يحِقّ عَلَيْهِ العذاب إلا بترك السجود والطاعة. فترفعه بما عاد من ذكره فِي قوله (حَقَّ عَلَيْهِ) فتكون(حَقَّ عَلَيْهِ) بمنزلة أَبَى وهنا تكون الآية قد ذكرت النتيجة، وهي استحقاق العذاب في الآخرة ؛ لوجود سببه وهو الإباء في الدنيا. فالإشكال يمكن إزالته بالاستثناء.

المصادر :

1- أسباب نزول القرآن المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ) المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان قال المحقق: قمت بتوفيق الله وحده بتخريج أحاديث الكتاب تخريجا مستوفى على ما ذكر العلماء أو ما توصلت إليه من خلال نقد تلك الأسانيد الناشر: دار الإصلاح – الدمام الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]

2- الأضداد أبو بكر، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فَروة بن قَطَن بن دعامة الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، عام النشر: ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م، تاريخ النشر بالشاملة: ٧ جُمادَى الآخرة ١٤٣٦.

3- الإعلام للزركشي (1396هـ)،دار العلم للملايين، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت 463هـ)، 224/16، دار الغرب الإسلامي.

4- إنباه الرواة على أنباه النحاة، لجمال الدين القفطي، (646هـ)، المكتبة العصرية – بيروت، 1424هـ.

5- تاريخ الرسل والملوك ، الطبري، بيروت،دار التراث، 1387هـ

6- تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١.

7- جامع البيان عن تأويل آي القرآن المؤلف: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠ هـ) تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع: مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر – د عبد السند حسن يمامة الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان – القاهرة، مصر الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]

8- جهود المفسرين في البحث البلاغي أبو عبيدة، الفراء، ابن قتيبة " إعداد منيرة محمد فاعور، رسالة ماجستير، جامعة دمشق

9- الحكمة من وجود المشكل في القرآن الكريم، أحمد بن محمد الشويمي.شبكة الالوكة – قسم الكتب.

10- الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن،الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ –١٩٩٢، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١

11- طبقات النحويين واللغويين (سلسلة ذخائر العرب ٥٠)، محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، أبو بكر (ت ٣٧٩هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الثانية، الناشر: دار المعارف، تاريخ النشر بالشاملة: ٢٨ رجب ١٤٣٥

12- ظواهر لسانية في القراءات القرآنية من خلال كتاب: معاني القرآن" لأبي زكريا الفراء دراسة وصفية تحليلية، رشيد سهلي، رسالة ماجستير

13- علل اختيارات الفراء في القراءات القرآنية في كتاب معاني القرآن"، إعداد: مازن أحمد محمود، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إربد.

14- الفهرست، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (ت ٤٣٨هـ)،تحقيق: إبراهيم رمضان، الناشر: دار المعرفة بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م،تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١.

15- كتاب معاني القرآن الأخفش، الفراء، الزجاج ومناهج مؤلفيها"، إعداد ناجح محمد البعول، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية.

16- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط5، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١

17- مشكل القرآن الكريم، عبد الله بن حمد المنصور، دار ابن الجوزي، ط1، الدمام،(1456هـ).

18- المعارضات الفكرية المعاصرة لأحاديث الصحيحين –دراسة نقدية–، د. محمد بن فريد زريوح الناشر: تكوين للدراسات والأبحاث،الطبعة الأولى، ١٤٤١ هـ – ٢٠٢٠ م، تاريخ النشر بالشاملة: ١٣ رمضان ١٤٤٢

19- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت ٢٠٧هـ) المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولى،تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١:

20- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١

21- المقدمة في الأصول لابن القصار،أبو الحسن علي بن عمر ابن القصار المالكي (ت ٣٩٧ هـ) قرأها وعلق عليها: محمد بن الحُسين السُليماني، الطبعة الأولى، ١٩٩٦ م، الناشر: دار الغرب الإسلامي، تاريخ النشر بالشاملة: ٢٧ ذو الحجة ١٤٤٢

22- نحو الكوفة من خلال معاني القرآن للفراء " للباحثة خديجة مفتي وهو مطبوع في مجلد .

الروابط الإلكترونية:

1- www.alukah.net/sharia

الهوامش

معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس 204/3.

1 – ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري 151/1.

2 – ينظر: مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي ، 168.

3 – مشكل القرآن الكريم، عبد الله بن حمد المنصور، 77.

4 – ينظر: مشكل القرآن الكريم، عبد الله بن حمد المنصور: 277.

5 – ينظر: المعارضات الفكرية المعاصرة لأحاديث الصحيحين (دراسة نقدية)، د. محمد بن فريد زريوح، 96/1.

6 – المقدمة في الأصول لابن القصار، أبو الحسن علي بن عمر ابن القصار المالكي، 5.

7 – ينظر: المعارضات الفكرية المعاصرة لأحاديث الصحيحين (دراسة نقدية)، د. محمد بن فريد زريوح، 96/1.

8 – ينظر: مشكل القرآن الكريم، عبد الله بن حمد المنصور : 105-109.

9 – الفهرست، بابن النديم (ت ٤٣٨هـ)، 91.

10 – الأضداد أبو بكر، بن دعامة الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، 159.

11 – طبقات النحويين واللغويين (سلسلة ذخائر العرب ٥٠)، محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي ، 132-133.

12 – تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، 244/16.

13 – معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت ٢٠٧هـ) ،9.

14 – ينظر: المصدر نفسه،10.

15 – إنباه الرواة على أنباه النحاة، لجمال الدين القفطي، 10/4.

16 – الإعلام للزركشي، 224/16.

17 – تعليقات الزجاج للفراء في معاني القرآن، عادل علي منصور، 6.

18 – معاني القرآن، للفراء 325/1.

19 – ينظر: معاني القرآن للفراء، وتفسير الطبري: بن جرير الطبري 259/9، و أسباب نزول القرآن المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي ، 212.

20 – معاني القرآن،الفراء: 305/1.

21 – ينظر: معاني القرآن:269/3.

22 –ينظر: معاني القران: 291/2.

23 –المصدر نفسه: 265/3.

24 –معاني القرآن: 266/3.

25 –المصدر نفسه: 260/3.

26 – المصدر نفسه: 315/2.

27 – المصدر نفسه: 150/1.

28 – جامع البيان في تأويل القرآن: 78/5 معاني القرآن: 150/1. فى ج: «خلت» بدل «حلت» . وكأنه يريد: إن قتله دار المذلة حلت له، فجملة «حلت» خبر «دار المذلة» والرابط محذوف.

29 – تاريخ الرسل والملوك ، الطبري،603/6. و ا بو ذبان كنية عبد الملك بن مروان، كنى بذلك لبخر كان به من أثر فساد كان فى فمه. ويعنى الشاعر بابنه هشام بن عبد الملك. وانظر اللسان (ذنب) ، والحيوان ٣/ ٣٨١.

30 – معاني القرآن: 151/1.

31 – معاني القرآن: 219/2.